الإله المجهول *

"The Unknown God"

حمد محمد جمعة بن صراي **

* أود أن أشكر كلا من أ .د . محمد خير فارس ـ قسم التاريخ ، جامعة دمشق ، ود . عبد الغني زيتوني ـ قسم اللغة العربية ، جامعة الإمارات ، على قراءتهما هذا البحث ، وإبداء ملاحظاتهما الفنية .

** حصل على الدكتوراه في تاريخ الخليج العربي القديم من جامعة مانشستر ـ بريطانيا ، عام ١٩٩٣م .
يعمل مدرساً للتاريخ القديم بقسم التاريخ والآثار ـ جامعة الإمارات .

الملخص

أشار بولس الرسول (القديس) في أثناء زيارته أثينا ، إلى وجود نقش يوناني ورد فيه ذكر لإله غير مجسم ، ومجهول الاسم ، اعتقد بولس ، بأنها إشارة إلى الله تعالى ، ولقد حاز هذا النقش على اهتمام ودراسة عدد كبير من العلماء منذ بدايات القرن العشرين .

والإله المجهول أو الآلهة المجهولون (the Unkown God) ،مصطلح يوناني الأصل ورد في بعض الكتابات الكلاسيكية الوثنية ، والمصادر النصرانية ، التي أشارت إلى عبادة إله أو آلهة مجهولة الأسماء ، تعبد لصفاتها . وكذلك وردت في عدد من النقوش التدمرية ، صفات العظمة ، والتبجيل ، لإله غير مذكور الاسم ، أطلق عليه العلماء الأوروبيون اسم الإله المجهول . كذلك وردت في الكتابات ، والنقوش السبئية (خط المسند) بعض الألفاظ الدالة على عبادة الإله الواحد في جنوب شبه الجزيرة العربية .

اهتمت المصادر الأوروبية بهذا الموضوع ، وتمت مناقشته من وجهة النظر الأوروبية الخاصة ، والمتعلقة بمسائل الدين ، والأساطير الدينية ، والمعتمدة على خلفية دينية ، وفكرية معينة ، غالبا ما تنفي وجود عبادة التوحيد ، وإن أثبتها البعض ، فإنهم يرجعونها إلى تأثيرات يهودية ، ونصرانية ، لا كقضية منفصلة عن أية تأثيرات دينية أخرى ، وهذا البحث سيركّز على دراسة ، ومناقشة ، النقوش اليونانية ، ونصوص الكتابات الكلاسيكية الوثنية ، والنصرانية ، إضافة إلى ما ورد من ذكْر صفات هذا الإله في النقوش التدمرية ، والسبئية .

ويمكن أن نفترض أن الشعوب في العصور القديمة قد عرفت عبادة التوحيد وعبّرت عن ذلك بصور مختلفة من خلال الكتابات والنقوش والتجسيم إلى غير ذلك من الصور ، حتى في بلاد اليونان على الرغم من قلة الأدلة المادية ، والأثرية ، وأن ما ذكرته الكتابات التدمرية والسبئية من صفات العظمة لإله لم تذكر اسمه صراحة ، هو دليل على عبادة الإله الواحد في شبه الجزيرة العربية .

منذ بدايات القرن العشرين ، قام العلامة الألماني ، إدوارد نوردين (Eduard Norden) ، بطباعة كتابه Agnostos Theos ، ناقش فيه بإسهاب ما عرف بالإله المجهول ، بدأه بالحديث عن النقش المشهور ، والوارد في حديث بولس الرسول (القديس) في أثناء زيارته لأثينا ، وناقش المسألة التاريخية المتعلقة بعبادة الآلهة المجهولين عبر العصور ، وخصص جزءاً من كتابه ، للحديث عن نماذج متعددة من الروايات ، والأخبار الدينية ، في الشعر ، والنثر ، الواردة في الأدب القديم . هذا الكتاب نال حظاً وافيًا من الدراسة ، والتعليق ، والنقاش ، والانتقاد ، منذ طباعته حتى وقتنا الراهن[٢] .

الإله المجهول أو الآلهة المجهولون (the Unkown God) ، مصطلح يوناني الأصل ورد في بعض الكتابات الكلاسيكية (الوثنية) والمصادر النصرانية ، التي ذكرت أن هناك إلهًا ، أو آلهة معبودة ، مجهولة الأسماء ، تعبد لصفاتها ، وأعمالها. وهذا المصطلح (الإله المجهول) قد استخدمه كذلك عدد من العلماء الأوربيين ويعنون به إلها غير مذكور الاسم وإنما مذكورة صفات حسنة له في عدد من النقوش التدمرية (وربما كذلك النقوش السبئية أو خط المسند في جنوب شبه الجزيرة العربية) .

وقد نال هذا الموضوع ، حظاً من النقاش ، والكتابة في المصادر الأوروبية ، التي نظرت إلى الموضوع من وجهة النظر الأوروبية الخاصة ، والمتعلقة بمسائل الدين ، والأساطير الدينية ، والمرتكزة على خلفية دينية ، وفكرية معينة ، والتي غالبًا ما تنفي أن يكون المعني بالإله المجهول ، هو الله تعالى ، أو بمعنى آخر هي نفي قضية التوحيد ، وإن أثبتها البعض ، فإنهم يرجعونها إلى تأثيرات يهودية ، ونصرانية ، ـ كما سنرى ـ لا كقضية قائمة وحدها ، منفصلة عن أية تأثيرات دينية أخرى .

حديثنا في هذا البحث سيركّز على دراسة ومناقشة ما أشار إليه بولس من وجود عبادة الإله الواحد في بلاد اليونان ، محاولين مقارنة ذلك بما ورد في النقوش

اليونانية ، ونصوص الكتابات الكلاسيكية والنصرانية ، لإثبات مدى صحة ادعاء بولس . وبما أن عددًا من العلماء الأوروبيين قد أطلقوا تسمية الإله المجهول كذلك على ما ورد من صفات حسنة لإله لم يصرح باسمه في النقوش التدمرية والسبئية ، فإننا سنناقش هذه المسألة أيضًا.

ذكر نوردين ، أن فكرة الإله المجهول ، ليست يونانية الأصل ، وإن وردت في المصادر الكلاسيكية ، وأنها تعود إلى أصل وتأثير شرقي حدث في العصر الهللينيستي[٢] .

وقد أشار مؤلف كتاب أعمال الرسل في الإنجيل إلى البعثة النصرانية التي قام بها بولس إلى أثينا ، وأنه قال في جمع من الأثينيين ، وفي معرض حديثه ، عن عبادة الإله الواحد : «إنني وجدت أيضا ، مذبحا ، منقوشا عليه ، إلى الإله المجهول» ، وقد عنى بالإله المجهول ، الله تعالى .[٣] وعندما نأتي لتبيان مدى صحة ادعاء بولس من خلال النقوش والاستكشافات الأثرية والمصادر الكلاسيكية والنصرانية ، يتضح لنا :

أن الآثار لم تزودنا حتى الآن بأية نقوش مماثلة لما ذكره بولس ،[٤] وحتى ما تم اكتشافه من كتابات أثرية فهي تستخدم صيغة الجمع والإهداء إلى آلهة مجهولة وليس إلى إله مجهول كما يذكر بولس ، ومن هذه الكتابات المكتشفة ، نقشان يونانيان : الأول كُتب على مذبح صغير تم اكتشافه على يد عالم الآثار الألماني Hugo Hepding في سنة ١٩٠٩ ، أثناء استكشافه لمعبد ديميتير (Demeter)[٥] في بيرجامون (pergamun)،[٦] ونشره في السنة التالية ، ومع أن جزءاً من النقش ، مفقود ، إلا أنه أعاد كتابته على النحو التالي :

إلى الآلهة المجهولة ، ΘΕΟΙΣΑΓ[ΝΩΣΤΟΙΣ]

المبنى ، ΚΑΠΙΤ[ΩΝ]

(و) حامل المشعل ، ΔΑΔΟΥΧΟ[Σ]

ولقد أُرّخ هذا النقش ، بنهاية القرن الثاني الميلادي ، وقد حاز هذا النص على مناقشة مستفيضة من عدد من العلماء حول صحة إعادة كتابته على يد هيبدينج .[٧]

والثاني : نقش مكتوب على عمود رخامي ، اكتشف منذ خمسين سنة ، في ضورليوم (Dorylaeum) الواقعة في الجزء الشمالي من مقاطعة فريجيا (Phrygia)، بآسيا الصغرى ، وهذا النقش في حالة سيئة ، جدًا ، ولكن العالم دير هورست (Van Der Horst) ، تمكن من إعادة كتابته وقراءته على النحو التالي :

Φ[.....]

ΥΠΕΡΕΑΥ[Τ]ΩΝ

[ΚΑΙ ΤΩΝ] ΙΔΙΩΝ ΘΕ-

[ΟΙ".....]ΟΙ" ΕΥ–

[ΧΗΝ].

وترجمته :

«ف....(قد أدوا) نذرهم إلى الـ(.....) الآلهة ، بالنيابة عن أنفسهم وعائلتهم/ عائلاتهم» ،[٨] ولكن ليس بالضرورة أن تكون الكلمة المفقودة قبل كلمة الآلهة ، هي لفظة «المجهولة» .

أما فيما يتعلق بالمصادر الكلاسيكية فنجد أنها قد أشارت إلى عبادة آلهة مجهولين ، وليس إلها مجهولاً ، وهذه المصادر هي :

١ ـ في حوالي الربع الثالث من القرن الثاني الميلادي ، كتب باوسانياس (Pausanias) ، كتابه «وصف بلاد اليونان» (Description of Greece) ، وقد بدأ الجزء الأول من كتابه ، بوصف شبه جزيرة أتيكا ، وموانئ أثينا ، وذكر أنه على الطريق

من فاليروم (Phalerum) ، إلى أثينا توجد مذابح لآلهة مجهولة الاسم[٩] وفي إشارة أخرى ، ذكر باوسانياس ، أنه يوجد في أوليمبيا ، مذبح مقدم لآلهة مجهولين .[١٠].

٢ ـ في كتابه عن حياة وآراء الفلاسفة البارزين (Lives and Opinions of Eminent Philosophers) والمؤلَّف في بداية القرن الثالث الميلادي ، يخبرنا ديوجينيس لايرتيوس (Diogenes Laertius) ، أنه عندما أصيب الأثينيون بالطاعون ، أرسلوا وفدًا إلى جزيرة كريت ، ليسألوا الفيلسوف والعالم ، إبيمينيديس (Epimenides) ، المساعدة في دفع الكفارة التي تنقذ مدينتهم ، فأتى بغنم بعضها أبيض وبعضها أسود ، وأحضرها إلى الأيروباجوس وأطلق هذه الغنم وجعلها تسير حيثما شاءت وأوصى من يتعقبونها بأن يقدموا أضحيات للإله المحلي في كل منطقة (حي أو بقعة) من المناطق التي سترقد فيها الأغنام وهكذا توقّف الوباء ، ومن هنا فإنه منذ ذلك الحين حتى اليوم فقد نجد في أحياء أثينا ، مذابح لا يحل (يكتب) عليها اسم الإله المقدمة إليه .[١١].

٣ ـ في حوالي سنة ٢١٦م . ألّف فيلوستراتوس (Philostratus) كتابا في سيرة (حياة) أبوللونيوس (Apollonius)،[١٢] ذكر فيه لقاء أبوللونيوس برجل يدعى تيماسيون (Timasiun) من نقراطيس (Naucratis) بمصر ، وكان هذا اللقاء بالقرب من نهر النيل ، وذكر فيلوستراتوس قصة هذا الرجل وهربه من بيته بسبب زوج أبيه ، وفي معرض حديثه عن تيماسيون ، أشار فيلوستراتوس إلى وجود مذابح ، في أثينا ، مقدمة إلى آلهة مجهولة الاسم .[١٣].

٤ ـ أشار المؤلف فيلوباتريس (Philopatris) إلى عبادة إله مجهول في أثينا ، حيث أُقيم له مذبح في المدينة ، وقد استقى المؤلف هذه المعلومة من المؤرخ الروماني المشهور لوسيان (Lucian) . وإذا كان صحيحًا بأن هذه المعلومة ، مصدرها لوسيان ، فإن لها أهمية كبيرة جدّا ، ولكن فيلوباتريس يُعدّ مصدرًا نصرانيًا متأخرًا جدًا ، وقد أرجعه البعض إلى القرن العاشر الميلادي .[١٤].

٥ ـ ذكر الجغرافي المشهور ، ستـرابو (إستـرابون) (Strabo) (٦٤ أو ٦٣ ق .م – ٢١م .) ، في كتابه الجغرافيا (The Geography) ، أن من بين عادات التضحية عند قبائل الكلت الأيبيريين (Celtiberians) ، أنهم يضحّون لإله غير مسمى .[١٥]

الخلاصة ، إن المصادر الكلاسيكية السابقة قد أثبتت وجود مذابح لآلهة مجهولين في أثينا والمناطق المحيطة بها ، وأولومبيا . والقصة التي أوردها ديوجينيس لايرتيوس تعطي سببًا واحدًا يفسر وجود هذه المذابح في أثينا وضواحيها ، وأولومبيا ، والقيمة الرئيسية لهذه الروايات أنها تدل على وجود هذه النوعية من المذابح في أثينا ، وأنها معروفة فيها فقط ، وتشير هذه المصادر إلى أن الصيغة المستخدمة في المذابح هي صيغة الجمع .[١٦]

أما المصادر النصرانية المتأخرة ، وخاصة المكتوبة في القرون الأولى للميلاد ، وبعد كتابة أعمال الرسل ، فقد أشارت إلى قصة بولس الرسول ، وكلمته في أثينا ، ومن هذه المصادر ما كتبه مؤلفون أثينيو المولد مثل : أريستيديس (Aristeides) ، وأثيناجوراس (Athenagoras) ، وكليمينت الإسكندراني (Clement of Alexandria) ، ولكنهم لم ينتقدوا بولس في ذكره للنقش ، ولم يصححوا عبارته . ولقد قام عدد من العلماء المحدثين بدراسة تلك المصادر .[١٧] وهناك مؤلفون آخرون خالفوا بولس أمثال :

I ـ ذكر الكاتب اللاتيني تيرتوليان Tertullian ، في كتابيه "Ad nationes" ، (رسالة إلى الأمم) و"Adversus Marcionem" ، (ضد مارقيون) ، أنه توجد في أثينا مذابح لآلهة مجهولين ،[١٨] وفي الحقيقة أنه لم يشر إلى خطبة بولس صراحة ، إلا أن فان دير هورست يجزم أن المؤلف قد علم بقصة بولس وزيارته لأثينا .[١٩]

II ـ وفي تعليقه على the Epistle to Titus (الرسالة إلى تيطوس) ذكر جيروم (Jerome) ، أن بولس قد غير الصيغة المذكورة في نقش المذبح من الجمع إلى المفرد ، ليتفق مع دعوته للأثينيين إلى التوحيد ، وليستثير في نفوسهم الدين ، وأن

النص الحقيقي هو «إلى آلهة آسيا ، وأوروبا ، وإفريقية ، وإلى الآلهة المجهولة والأجنبية» .[٢٠]

III ـ في عبارة مشابهة ، أشار ديديموس السكندري (Didymus of Alexandria)[٢١] ، إلى أن بولس قد غير صيغة الجمع الأصلية في النقش إلى صيغة المفرد ، ليستدل بذلك على الإله الحقيقي .[٢٢]

IV ـ إيوثاليوس الشماس (Euthalius Diaconus) ، الكاتب النصراني ، المعاصر ربما لجيروم ، كتب باليونانية «إلى آلهة آسيا ، وأوروبا ، وإفريقية ، وإلى الإله المجهول والأجنبي» ، وهو بذلك يخالف جيروم في الصيغة عندما يشير إلى الإله المجهول بصيغة المفرد لا الجمع .[٢٣]

V ـ في تعليقه على نشاط الحواريين ، كتب أبو الكنيسة النسطورية ، إيشوداد المروزي ، أنه عندما كان الأثينيون في حرب مع أعدائهم ، ظهرت لهم إحدى الأرواح الحارسة ، قائلة لهم «إنني لم أتلق منكم تقديرا واحتراما ، وبسبب ذلك غضبت عليكم وسلطت عليكم عدوكم ، فهزمكم» ، عندها ، خاف الأثينيون وأقاموا لها المذبح المعروف ، وبسبب أنهم لا يعلمون اسمها ، كتبوا على المذبح «إلى الإله المجهول والمختفي» .[٢٤] وقد سبق ايشوداد ، في الإشارة إلى مثل هذه القصة ، إيسيدور البيلوسيومي (Isidore of Pelusium) في إحدى رسائله .[٢٥]

أصل هذه القصة ربما ورد في كتاب التواريخ لهيرودوتوس (هيرودوت) (Herodotus) ، (٤٩٠ ـ ٤٨٠ ق .م إلى سنة ٤٢٦/٤٢٥ ق .م) ، حيث روى قصة أحد العدّائين الأثينيين المشهورين ، فيديبيديس (Pheidippides) ، الذي أُرسل إلى إسبارطة لطلب النجدة ، أثناء الحروب الفارسية ، وفي طريقه التقى الإله پان (Pan)،[٢٦] الذي طلب منه أن يسأل الأثينيين لماذا لا يلقون له أي اهتمام ، على الرغم من أنه محب لهم ، وساعدهم في الماضي ، كما أنه سيساعدهم في المستقبل . عندما سمع الأثينيون هذه الحكاية ، بنوا له مقامًا ، تحت قلعة أثينا .[٢٧] وطبقًا للرواية

النصرانية للقصة ، فإن الأثينيين قد بنوا مذبحًا ،كُتب عليه ، «إلى الإله المجهول» .[٢٨] وهذه المصادر تمت دراستها باستفاضة على يد عدد من العلماء المحدثين وردت الإشارة إليهم في الهوامش السابقة .

يبدو من خلال النصوص السابقة (الوثنية ، والنصرانية) ، أنه كانت هناك في أثينا وضواحيها ، عبادات ومذابح لآلهة مجهولين ، ولكن هل يعني أن بولس لم يذكر الحقيقة عندما أشار في خطبته إلى الإله المجهول (بصيغة المفرد)؟ ، وأنه كذب على الأثينيين بقوله ذلك؟ أرى أنه من المستحيل أن يغير بولس الصيغة من الجمع إلى المفرد ، لأن من يخاطبهم من الأثينيين ، ربما كانوا يعرفون أثينا ، وآلهتها ، ومذابحها جيّدًا ،فلا يستطيع بولس أن يخدعهم بكلامه ، ولن يصدّقوه إذا قال عكس ما يعلمون جيّدًا ، وبولس في حدّ ذاته ، رجل نذر نفسه للتبشير بالنصرانية ونشرها بين الناس ، وإيراد الحجج المؤيدة لفكرته ، واعتقاده ، ويهمّه كثيرًا أن يصّدقه الناس ويعتنقوا دينه ، فبالتالي فإنه سيتجنب ما يثير الشكوك حوله ، وما ينفّر الناس عنه ، من قول وعمل ، ويحرص على الصدق وذكر الحقائق دون لبس أو غموض أو كذب .

وفي اعتقادي أن عدم وجود نقش مكتوب بصيغة المفرد ، سواء في الروايات السابقة ، أو في الآثار ، لا يعني عدم وجوده كلية ، ولا يمكن بالتالي أن نرفض رواية بولس لهذا السبب ، وربما الأمر يحتاج إلى بحث ، وتنقيب بين المخلفات الأثرية ، والكتابات حتى يعثر على نقش يؤيد رواية بولس .

ولقد ذهب نفر من العلماء ، إلى أن المقصود بالإله المجهول في النقش (إن وُجد) ، هو إله اليهود (يهوه) ، أو إله إسرائيل ، كما يزعم اليهود ، حيث إن إله الديانة اليهودية بالنسبة لعدد كبير من اليونانيين ، والرومان يعدّ مجهولاً لأنه إله لا يمكن مناداته باسمه ، وأنه لا صورة (تمثال) له .[٢٩] وهنا أيضا لا نستطيع أن نحصر عبادة هذا الإله في إله اليهود ، ولكن من الأنسب أن نقول إن هذا النقش ربما يشير

إلى عبادة الإله الواحد ، الذي لا يجسّم في تمثال أو صنم بل يُعبد بدون تمثيل أو تصوير . أما فكرة التوحيد عند المفكرين والفلاسفة والعلماء اليونانيين ، فقد قام الكاتب الكبير محمود عباس العقاد بدراسة عقيدة التوحيد والإله الواحد في الفلسفة اليونانية ، وأورد طائفة من أقوال الفلاسفة اليونانيين المشهورين حول هذا الموضوع ،[٣٠] ولكن هذا البحث لا يتسع للحديث عن عقيدة التوحيد عند الفلاسفة اليونانيين ، فهو مقتصر على دراسة رواية بولس ومحاولة لمعرفة إذا كانت هناك فعلاً نقوش يونانية وكتابات كلاسيكية ونصرانية أشارت للإله المجهول الذي عناه بولس .

أما فيما يتعلّق بما يسمى بالإله المجهول في النقوش التدمرية والذي أشار إليه عدد من الكتّاب الأوروبيين فقد تمّ اكتشاف عدد كبير من الكتابات التدمرية بالقرب من نبع أفقا.[٣١] وهذه الكتابات ، عادة ما تحتوي على عبارات مثل : «إلى الذي تبارك اسمه إلى الأبد ، الخيّر (الطيّب) ، والرحيم . . .» ، و«إلى الذي تبارك اسمه للأبد . . .» ، و«تبارك اسمه الخيّر ، والرحيم . . .» و«الطيب المبارك ، الرحمن الرحيم» ، و« . . لملإله الرحمن» .[٣٢] هذه الصيغ وجدت على مئات من المذابح ، ومعروض عدد منها في القاعة الأولى بمتحف تدمر ، وتعود إلى العقود الأولى من القرن الثاني الميلادي ، وقد اعتُبرت موجّهة إلى إله مجهول ، عرّفه بعض العلماء بأنه الإله التدمري المشهور بعل شمين (سيد السماء) ، ويرى تيخسدور أن المقصود هو الإله يرحبول .[٣٣] ولكن ما الدافع الذي دفع التدمريين إلى عدم التصريح باسم أحد أشهر آلهتهم ، الذي عبده التدمريون مع بل وعجلبول (رب القمر) ، ورمزوا له بالشمس ، ولقد كرّسوا معبد بل لعبادة هذا الثالثون .[٣٤] وتيخسيدور[٣٥] نفسه لا يقدّم دليلاً واضحًا يفسّر لماذا أخفى التدمريون اسم أحد أشهر آلهتهم ، ولم يذكروه في كتابات نبع أفقا ، ويخلُص إلى أنه ليس من السهل معرفة وتحديد ماذا حدث لعبادة يرحبول «it is not easy to determine what happened to his cult at the spring of Efca» .

يقترح الأب رونزيفال اليسوعي أن مثل هذه العبارات الواردة في الكتابات ربما تشير إلى تأثير نصراني ،[٣٦] ولكن من الصعب الاقتناع بصحة هذا الرأي ، خاصة أن النصرانية لم تكن قد انتشرت بعد بصورة واضحة ، كبيرة في تدمر ، على الرغم من أنها ربما دخلت تدمر منذ أواخر القرن الأول الميلادي ،[٣٧] أيضا إن كلمة «رحم» (رحيم) لا ترتبط بظهور النصرانية حيث إنها وردت بصيغة «إ ل هـ : ر ح م ن» وتعني «الإله الرحيم» في نقش مكتوب باللغة الآرامية ، والآشورية من تل الفخيرية ، مؤرخ بأواسط القرن التاسع قبل الميلاد .[٣٨].

هنا أيضًا اقترح البعض أن هذه العبارات تدل على وجود تشابه ، وتأثير ديني يهودي ، ولكن هذا التشابه يبدو في الظاهر ، وليس في الجوهر كما يعتقد تيخسيدور ،[٣٩] ويمكن أن نضيف بأنه تواجدت في تدمر جالية يهودية كبيرة منذ زمن بعيد ، كما تدل على ذلك النقوش ، والكتابات التدمرية ،[٤٠] فلماذا لم يظهر التأثير اليهودي إلا في عصور متأخرة .

لكن يمكن أن نخلص إلى أن هذه العبارات تدل على وجود عبادة الإله الواحد في تدمر بدليل أن هذه الكتابات تركّزت في مكان واحد ، ولم توجد في أماكن عبادة الأصنام كبل وعجلبول واللات ، وغيرها من الآلهة التدمرية ، التي هي رمز الشرك ، والوثنية في تدمر . ومع ذلك فالأمر يحتاج إلى دراسة جديدة ، ومتأنية للنقوش التدمرية التي تشير إلى عبادة الأصنام الآنفة الذكر ، وخاصة أن العرب بالذات وسكان الشرق القديم في العموم قد عبدوا عددًا كبيرًا من الآلهة ، والأصنام مع عبادتهم لله تعالى وإقرارهم بخلقه للكون . وبعبارة أخرى أنهم أشركوا مع الله آلهة أخرى ، كما تدل على ذلك كثير من آيات القرآن الكريم ،[٤١] مثل قوله تعالى : «**أَلا لِلهِ الدين الخَالصُ والذينَ اتّخذُوا من دونه أَولياءَ ما نَعبدُهمْ إلا ليُقرِّبُونَا إلى اللّه زُلْفى ..**»،[٤٢] وقوله تعالى : «**قُل لِمَن الأرضُ ومَن فيهَا إن كنتمْ تَعلمونَ .سَيقولون للّه قُل أَلا تَذَكّرونَ .قُل مَن رَبُّ السموات السبع ورَبُّ العَرشِ العَظيم .سَيقولونَ للّهِ قُل ألا تَتَّقونَ**».[٤٣]

ومن المحتمل أن بعل شمن (بعل شمين) أي سيد (إله أو رب) السماء ـ أحد الآلهة المشهورة في تدمر ـ ، يعني الله تعالى ،[٤٤] وجُسِّم في صورة صنم وبُني له معبد في المدينة ، وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة وافية ، ليس مقامها الآن .[٤٥]

ويمكن مقارنة ما ورد في النصوص التدمرية بكتابات جنوب شبه الجزيرة العربية (خط المسند) ، حيث ورد ذكر لبعض الصفات والأسماء التي ربما تشير إلى عبادة الإله الواحد . وفي هذا البحث لا نود أن نخوض في كتابات المسند ، وما ذكرته من آلهة وأصنام كانت تُعبَد في جنوب شبه الجزيرة العربية حتى نعرف منها أين كانت عبادة التوحيد من بين هذا الكم الهائل من الأصنام والآلهة ، فهذا الموضوع ليس مكانه هنا . كذلك لا يمكن حاليا البحث فيما ورد من أسماء الآلهة والمعبودات في اللغات السامية المختلفة ، وما عبده الساميون سواء في بلاد الرافدين ، وسوريا ، ومصر ، وغيرها من بلدان الشرق القديم ، لمعرفة عبادة التوحيد .

ولكن هذا لا يمنع من ذكر بعض الصفات والأسماء الواردة في النقوش مثل : «ذ سموي» (ذو سموي) أي رب السماء . ظهر هذا الاسم قبل الميلاد بقليل ، وقد اعتقد بعض المستشرقين أن عبادته تدل على ظهور عبادة التوحيد عند عرب الجنوب . وورد أيضا ذكر «بعل سمن» (بعل سمين) أي سيد السماوات أو إله السماوات ، وهذا ربما يقابل بعل شمين الإله التدمري المشهور ، والمذكور في النقوش التدمرية .[٤٦]

وذكرت نقوش المسند اسما آخر هو : رحمنن أي الرحمن ، وكعادة بعض المستشرقين فقد أرجعوا أصله إلى تأثير يهودي ،[٤٧] ولكن كما هو معروف أن اسم الرحمن ، هو اسم علم لله عز وجل خاص بذاته الإلهية ،[٤٨] وورد أيضا «رحمنن بعل سمن» (سمين) أي الرحمن رب السماء والأرض .[٤٩] من خلال هذه الأسماء (رحمنن ، بعل سمين ، بعل سمين وأرضن) ربما يتبين أن المعنِي بهذا الاسم هو الله تعالى .

وقد أوردت نصوص المسند اسم أل (إيل) حيث ذُكر اسمه مستقلا كما ورد مقرونًا باسم الصنم عشتر ، وورد أيضًا بكثرة في أسماء الأعلام المركبة . وإيل ربما تعني إلهاً كما هو معروف في اللغة العربية ، وهو الله تعالى . وقد وردت هذه الكلمة في أغلب الكتابات السامية ، مما يدل على عبادة الساميين لهذا الإله ، وإن وردت الكلمة في عدة أشكال على حسب اللغة السامية المكتوبة بها الكلمة.(٥٠) وتوجد في كتابات شمال غرب شبه الجزيرة العربية (الثمودية ، والصفوية ، واللحيانية) أسماء آلهة متعددة ومشابهة لآلهة عرب الجنوب مثل إيل ، وبعل سمن .(٥١) ولكن كما ذكرت سابقًا أن هذا الموضوع ليس مجال بحثه في هذه الدراسة .

الخلاصة أن الشعوب والأمم في العصور القديمة قد عرفت عبادة الإله الواحد وعبّرت عن ذلك بصور مختلفة من خلال الكتابات والنقوش والتجسيم إلى غير ذلك من الصور ، ولا يمكننا إنكار وجود هذه العبادة في بلاد اليونان لمجرد أننا لم نعثر على دليل مادي حتى الآن ، أو أن عددًا من المصادر الكلاسيكية لم تشر إليها . وأن ما ذكرته الكتابات التدمرية والسبئية من صفات العظمة والتبجيل لإله لم تذكر اسمه صراحة ، هو في اعتقادي دليل على عبادة ومعرفة الناس في تلك المناطق بالله الواحد . أما دراسة النصوص والكتابات الدينية الواردة عند الأمم السامية في بلاد الشرق لمعرفة موقع عبادة الله تعالى من بين العبادة الوثنية ، فأمر يحتاج إلى دراسة موسّعة ومستفيضة ، وما هذا البحث إلا محاولة مبتدئة ، وصغيرة في هذا المجال الواسع .

الهوامش والمراجع

(١) - Norden, E., Agnostos Theos. Untersuchungen zur Formengeschichte religiöser Rede, Leipzig, Burkitt, F.C,. "Re- : انظر مثلا ، أما التعليقات والدراسات حول هذا الكتاب . 1913, (rep. Darmstadt, 1956) view of Prof. Eduard Norden's Agnostos Theos" Journal of Theological Studies, xv (1914), pp. 455-464; Proclus, The Elements of Theology, ed. & trans. Dodds, E. R., App. 1, pp. 310-313; Van Der Horst, P. W., "The Altar of the 'Unknown God' in Athens (Acts 17:23) and the Cult of "Unknown God" in the Hellenistic and Roman Periods", in Aufseieg und Neidergang der Romischen Welt, 1989, II. 18. 2, p. 1426.

(٢) المرجع السابق ، ص . ١٤٢٧ .

(٣) - Headlam, A. C., "Unknown God", Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1902, vol. 4, p. 835; Deissmann, A., Paul, A Study in Social and Religious History, trans. Wilson, W. E., London, 1926, p. 287; Dibelius, M., Studies in the Acts of the Apostels, ed. Greeven, H., London, 1956, p. 78; Easton, B. S., "Unknown God", in the International Standard Bible Encyclopaedia, Michigan, 1978, p. 3037; Grant, R., Gods and the One God, London, 1986, p. 26.

(٤) - Görtner, B., The Areopagus Speech and Natural Revelation, Copenhagen, 1955, p. 239; Beare, F. W., "Unknoun God", in The Interpreter's Dictionary of the Bible, New York, 1962, vol. 4, p 734.

(٥) ربة الغلال ، والزرع ، والحرث ، والحصاد عند الإغريق ، وتصور دائما وهي تحمل سنابل القمح ، وقد عبدت منذ حوالي القرن الثامن قبل الميلاد وحتى حوالي القرن الرابع الميلادي . انظر : محمد كمال صدقي : **معجم المصطلحات الأثرية** ، الرياض : ١٩٨٨ ، ص١١٩ ؛ Grimal, P., The Penguin Dictionary of Classical Mythology, London, 1991, pp. 122-124; Jordan, M., Encyclopedia of Gods, London, 1992, pp. 72-71.

(٦) مدينة قديمة ، وأثرية ، تقع في شمال غرب آسيا الصغرى ، على بُعد ١١٠ كم ، شمال أزمير الحالية ، وتعتبر مركزا من مراكز الحضارات الهللينية ، والهلينيستية ، والرومانية ،معجم المصطلحات الأثرية ، ص ٢٩٧-٢٩٨ ؛ Mitchell, S., "Pergamum", Ency. Amer., vol. 21, p. 701.

(٧) انظر : Deissmann, A., op. cit., pp. 288-289; Gärtner, B., op. cit., p. 239, n. 2' Finegan, J., Light vfrom the Ancient Past. the Archaeological Background of the Hebrew - Christian Religion, vol. 2, p. 357; Van Der Horst, P. W., op. cit., pp. 1432-1434.

(٨) لمزيد من المعلومات والدراسة لهذا النقش انظر : - Van Der Horst, P. W., op. cit., pp. 1436-1437

(٩) - Pausanias, Decription of Greece, trans. Jones, W. H. S., Loab Classical Library, London, 1918, I. 1, 4.

(١٠) نفس المصدر السابق V.14,8.

(١١) - Diogenes Laertius, Lives and Opinions of Eminent Philosophers, trans. R. D. Hicks, London, 1925, I, 110 : انظر كذلك Woodhouse, W. J., "Unknown God, Altar to the ayvwotwθew ", in Encyclopaedia Biblica, New York, 1903, vol. 4. col. 5230; Lake, K., "Note XIX. The Unknown God", in Foakes - Jackson, F. J. and Lake, K. (eds.), The Beginning of Christianity: pt. I. The Acts of the Apostles, London, 1933, vol. 5, p. 241; Van Der Horst, P. W., op. cit., pp. 1423-1434.

(١٢) فيلسوف يوناني ، ولد في بداية القرن الأول الميلادي ، في بلدة تيانا (Tyana) ، الواقعة في جنوب – غرب آسيا الصغرى . تلقى تعليمه في البداية ، في طرسوس ، ثم انتقل إلى معبد إيسكولابيوس (Aesculapius) ، في إيجيا ، حيث أصبح أحد أتباع المذهب الفيثاغوري . قام برحلات إلى آسيا الصغرى ، والهند ، وإسبانيا ، وإفريقية ، وروما ، وبلاد اليونان ، وفي إيفسوس ، (على ساحل آسيا الصغرى المطل على بحر أيجة) ، يفترض أنه أسس مدرسة هناك . توفي في إيفسوس ، أو في رودوس ، أو في كريت . والمصدر الوحيد لحياة هذا الفيلسوف ، والرحالة ، هو فيلوستراتوس ، الذي ألف كتابا في سيرته ، في حوالي سنة ٢١٦م .
انظر : Philostratus, The Life of Apollonius of Tyana, trans. Conybeare, F. C., London, 1969, Introduction, vii-xvii; Anderson, G., Philostratus, London, 1986, pp. 121-239.

(١٣) لمزيد من المعلومات والدراسة حول ذكر الآلهة المجهولة في رواية وقصة تيماسيون ، انظر : Philostratus, The Life of Apollonius of Tyana, vol. w, p. 13 . Van Der Horst, P. W. op. cit., p. 1431.

(١٤) انظر : - Lake, K., op. cit., pp. 241-242

(١٥) - Wachob, W. H., "Unknown God", ABD, vol. 6, p. 754 : انظر كذلك Strabo, The Geography 163

(١٦) - Foakes - Jackson, op. cit., p. 242; Van Der Horst, P. W., op. cit., p. 1437.

(١٧) حول هؤلاء المؤلفين وكتاباتهم انظر مثلا : - Foakes - Jackson, op. cit., p. 242; Van Der Horst, P. W., op. cit., p. 1437

(١٨) - Foakes - Jackson, op. cit., P. 242; Van Der Horst, P. W., op. cit., p. 1437; Wachob, W. H. op. cit., p. 754

(١٩) - Van Der Horst, P. W. op. cit., p. 1437

(٢٠) انظر : - Foakes - Jackson, op. cit., p. 242-243; Van Der Horst, P. W., op. cit., p. 1438-1439; Wachob, W. H., op. cit., p. 754

(٢١) ولد في الإسكندرية حوالي سنة ٣١٣م . وعرف بديديموس الأعمى لأنه ولد كذلك . يعتبر من أشهر رجال الدين النصراني في القرن الثالث الميلادي ، شارك في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م . ، وتوفي في الإسكندرية في سنة ٣٩٨م . انظر : Barr, R., "Didymus of Alexandria", Ency. Amer., vol. 9, p. 92; "Didymus, the Bling", in Britannica, vol. 4, p. 82.

(٢٢) - Foakes - Jackson, op. cit., p. 243; Van Der Horst, P. W., op. cit., p. 1439

(٢٣) - Foakes - Jackson, op. cit., p. 242; Van Der Horst, P. W., op. cit., p. 1440; Wachob, W. H. op. cti., p. 754

(٢٤) - Foakes - Jackson, op. cit., p. 244; Van Der Horst, P. W., op. cit., p. 1441

(٢٥) - Foakes - Jackson, op. cit., p. 244

(٢٦) هو في الأصل إله الرعي ، والمراعي عند اليونانيين والرومان ، صُور نصفه العلوي على هيئة إنسان ، والسفلي على شكل حيوان ، وعلى جبهته قرنان . انظر : Jordan, M., op. cit., p. 233; Grimal, P., op. cit., pp. 325-324

(٢٧) - Herodotus, The Histories, trans. Godley, A. D., London, 1931, the Loeb Classical Library, Bk. vi, p. 105

(٢٨) - Van Der Horst, P. W., op. cit., p. 1442

(٢٩) لمزيد من الاطلاع والمناقشة ، انظر مثلا : Woodhouse, W. J., op. cit., col. 5230; Gärtner, B., op. cit., pp. 246-247; Van Der Horst, P. W., op. cit., pp. 1444-1446; Wachob, W. H., op. cit., p. 754

(٣٠) انظر كتاب العقاد : الله : **كتاب في نشأة العقيدة الإلهية** ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف ، ص ١٠٦-١٠٧ و١١٦-١٤٠ .

(٣١) أفقا كلمة آرامية تعني مخرج الماء ، أو القناة ، ويسمى النبع حاليا الحمام الكبريتي . يقع النبع في الجهة الغربية من تدمر الحديثة ، ويتدفق ماؤه من كهف في جوف جبل المنطار ، ويمتد طوله لأكثر من ٣٥٠م . انظر : عدنان البني وخالد الأسعد : تدمر ، دمشق : بدون تاريخ ، ص ٩٦ ، ١٤٩ ؛ ل . كوستاز : **المعجم السرياني ـ العربي** ، بيروت : ١٩٦٣ ، ص ١٨ .

(٣٢) للاطلاع على هذه النقوش ، انظر : خالد الأسعد ، «كتابات جديدة في تدمر» ، **الحوليات الأثرية العربية السورية** ، مجلد : ٣٣ (٢) ، (١٩٨٣) ، ص ٢١٥-٢٢٥ ؛ Corpus Inscriptionum Semiticarum, vol. 2, no. 4007; Cooke, G. A., A Text - book of North - Semitic Inxdriptions, Oxford, 1903, nos. 135, 137, 138' حمد محمد بن صراي ، The Arabian Gulf from the 3rd Century B.C. to the 1 st/2nd Century A.D. with Special Reference to the Commercial Activities between Pallmyra, Charax and the Gulf, أطروحة دكتوراة غير منشورة جامعة مانشستر ، ١٩٩٣ ، ص ٣٤١ .

(٣٣) - Teixidor, J., The Pagan God, Princetion, 1977, p. 122' idem, The Pantheon of Palmyra, Leiden, 1979, p. 155

(٣٤) عن معبد بل ، انظر : تدمر ، ص ٦٣-٦٩ ؛ حمد محمد بن صراي ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ ؛ Colledge, M. A. R., The Atr of Palmyra, London, 11976, Passim.

(٣٥) - Teixidor, J., The Pagan God, P. 127

(٣٦) «زينب الزباء ملكة تدمر» ، المشرق ، مجلد : ١ ، (١٨٩٨) ، ص ٩٨٩-٩٩٠ .

(٣٧) حول وجود وانتشار النصرانية في تدمر ، ولمعرفة بعض المصادر ، انظر : حمد محمد بن صراي ، المرجع السابق ، ١٦٧-١٦٨ .

(٣٨) حول هذا النقش ، انظر : - Muraoka, T., "The Tell - Fekherye Bilingual Inscription and Early AramaicAbr-Nahrain, xxii (1984), p. 82, line: 5.

(٣٩) - Teixidor, J., The Pagan God, p. 124

(٤٠) حول التواجد اليهودي في تدمر ، انظر : حمد محمد بن صراي ، المرجع السابق ، ص ١٦١ و١٦٧ .

(٤١) هناك العديد من المصادر تحدثت عن الشرك ، وعبادة الأصنام ، مثل : جواد علي : **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، جـ٦ ، بيروت : ١٩٩٣ ، ص ٣٤-٨٢ ؛ يحيى شامي : **الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة ، قبل الاسلام** ، بيروت : ١٩٨٦ ، في أغلب موضوعات الكتاب ؛ محمد إبراهيم الفيومي : **في الفكر الديني الجاهلي** ، القاهرة : ١٩٨٣ ، ص ٢٠٥ وما بعدها ؛ وفاء محمد رفعت وجمال عبدالهادي محمد : **جزيرة العرب منذ أقدم العصور** ، جـ١٠ القاهرة : ١٣٩٨هـ ، ، ص ٢٦٧ وما بعدها ؛ منذر عبدالكريم البكر : «الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام» ، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية** ،مجلد : ٨ ،ع . (١٩٨٨) ٣٠ ، . ١٠٤-١٠٧ ؛ سلطان المعاني : «في حياة العرب الدينية قبل الإسلام من خلال النقوش» ، **دراسات تاريخية** ،س . ١٤ ،ع . ٤٧-٤٨ ، (١٩٩٣) ، ص ٩٥-١١٢ .

(٤٢) **سورة الزمر** ،آية : ٣ .

(٤٣) **سورة المؤمنون** ، الآيات من ٨٤ إلى ٨٧ . انظر كذلك سور : **العنكبوت** ،آية : ٦٣ ؛ **لقمان** ،آية : ٢٥ ؛ **الزمر** ،آية : ٣ و٣٨ ؛ **الزخرف** ،آية : ٩ و٨٧ .

(٤٤) الاعتقاد السائد الآن يقول بأن بعل شمين هو إله المطر والخصب . حول هذا الموضوع ، انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ٦ ، ص٢٥-٢٦ ؛ **حمد محمد بن صراي** ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ ، ح ٢٥٥ .

(٤٥) توجد هناك محاولة رائعة حول إثبات الوحدانية في الديانة المصرية القديمة ، انظر : حازم أحمد عطية الله : «الإله الكبير» ، **المجلة التاريخية المصرية** ،مجلد : ٣٢ (١٩٨٥) ، ص ٣-٢٣ . انظر كذلك : عبدالغني زيتوني : **الوثنية في الأدب الجاهلي** ، دمشق : ١٩٨٧ ، ص ١٨١-٢٧٣ .

(٤٦) لمزيد من الاطلاع ، انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ٦ ، ص ٣٦-٣٧ ، ٣٠٥-٣٠٦ . يعتقد د . منذر عبد الكريم البكر أن «ذ سموي» لا يتطابق مع «بعل شمين» الوارد في النقوش التدمرية . المجلة العربية للعلوم الانسانية ، ص١٢٠ . عرفت عدد من مناطق ومدن الشرق القديم عبادة بعل شمين ، مثل مدينة الحضر . انظر : ماجد عبدالله الشمس : الحضر ، العاصمة العربية ، بغداد : ١٩٨٨ ، ص١٠٢-١٠٣ .

(٤٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ٦ ، ص٣٧-٤١ ، ٣٠٦ .

(٤٨) إسماعيل بن حماد الجوهري : **الصحاح ،تاج اللغة وصحاح العربية** ،جـ٥ ، بيروت : ١٩٧٩ ، ص ١٩٢٨ ؛ ابن منظور : **لسان العرب** ،جـ١٢ ، بيروت : بدون تاريخ ، ص ٢٣١ . انظر كذلك : الوثنية في الأدب الجاهلي، ص٢٠٦-٢٠٩ . يعتقد د . منذر عبدالكريم البكر أن رحمن نعت لأحد الآلهة . المرجع السابق ، ص . ١٢١ .

(٤٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص٣٠٦ .

(٥٠) حول إيل وذكره عند عرب الجنوب والساميين عموما ، انظر مثلا : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ٦ ، ص٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٣-٣٣٤ ؛ محمد عبدالقادر بافقيه : **تاريخ اليمن القديم** ، بيروت : ١٩٨٥ . ص . ٢٠٣ ؛ سبتينو موسكاتي : **الحضارات السامية القديمة** ، ترجمة : السيد يعقوب بكر ، بيروت : ١٩٨٦ ، ص ١٩٤-١٩٥ ؛ علي القيّم : **إمبراطورية إبلا** ،دمشق : ١٩٨٩ ، ص ٧٩ ، و١٩٢ ؛ المعجم السرياني ـ العربي ، ص ١٠ ؛ ا .ف .ل . بيستون وجاك ريكمانز ومحمود الغول والتر مولر ، **المعجم السبئي** ، بيروت : ١٩٨٢ ، ص٥ ، أ . دوبون ـ سومر ، **الآراميون**، ترجمة : ناظم ا لجندي ، طرطوس ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٣-١٨٤ ؛ الوثنية في الأدب الجاهلي ، ص١٨١ .

(٥١) جرجي زيدان : **العرب قبل الإسلام** ، بيروت : بدون تاريخ ، ص٨٨ ؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ٦ ، ص٣٠٩-٣٣٣ ؛ Healey, J. F., "The Nabataean and liho'n sa5 Mada, Atlal, x (1986), pp. 108-116، الترجمة العربية من ص١٣٥ إلى ص١٤٤ .

***

اقـــرأ في العـــدد القـــادم

انسـجـام المتـخـالـف في الشعر.. نقد تطبيقي

د. مختار رعلي أبو غالي